العوامل المحددة للنمو الاقتصادي في القرآن الكريم

د. خليل إسماعيل إبراهيم*

المقدمة

النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية مفهومان اقتصاديان شاع استخدامهما لدى الاقتصاديين لاسيما في النصف الثاني من القرن العشرين وبخاصة بعدما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وتم اعادة تقسيم العالم مجدداً ، حيث وضعت دول تحت السيطرة المباشرة للدول التي خرجت منتصرة وهي دول الحلفاء بينما وضعت دول اخرى تحت الوصاية كما تم تقسيم دول اخرى مثل المانيا وكوريا الى شطرين ، ولما كان الوضع في الدول التي تعرضت للحرب قد نتج عنه دمار شامل وفي الجانب الاخر هناك دول العالم المتخلف التي كانت ولازال القسم الاكبر منها في وضع اقتصادي متردي ،لذا فان الدول التي خرجت منتصرة من الحرب ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية حاولت استغلال الوضع والقيام ببعض المبادرات ظاهرها مد يد العون للدول التي تعرضت للدمار وكذلك الدول المتخلفة ، ومن تلك المبادرات مشروع مارشال الذي يقوم على مد يد العون للدول المدمره اساساً ، وطبعاً الهدف منه هو اقتصادي يقوم على استغلال الظرف والسيطرة على اقتصاديات تلك الدول هذا اضافة الى اهدافه السياسية التي كانت تتركز في ابعاد الخطر الشيوعي من ان يمتد الى الدول الاوربية والامريكيتين ، وهكذا أخذ مفهوما النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية في الانتشار .

* استاذ مساعد / جامعة بغداد / مركز بحوث السوق وحماية المستهلك

مقبول للنشر بتاريخ 2006/3/26

وبدأ التنظير الاقتصادي لعوامل النمو الاقتصادي في الاتساع وفقاً للمفاهيم السائدة في أطار الفكرين الرأسمالي والاشتراكي لاسيما بعد ما أعيد بناء ما خرب خلال مدة الحرب العالمية الثانية إذ نشأة مدارس فكرية على العموم يمكن تقسيمها الى مجموعتين :

- افكار اقتصاديي الدول الرأسمالية والدول المتخلفة التي أخذت تحذو حذوها .
- افكار اقتصاديي دول الكتلة الشرقية .

وعلى العموم فان كلا الاتجاهين الرئيسيين الرأسمالي والاتجاه الذي يقوم على سيطرة الدول الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي ينحوان نحو الابتعاد عن كل المنابع الفكرية الدينية ، بل ان الاتجاهين يذهبان الى ضرورة فصل الدين عن الدولة وما يتصل بها من مختلف الشؤون ومنها الشؤون الاقتصادية ، واذا كان الباحث غير معني اساساً ببحث علاقة الدين بالدولة فانه يجد نفسه مضطراً للاشارة الى خطأ مثل هذه التوجهات إذ ان الدين غير بعيد عن الشؤون الحياتية للامم بل العكس هو الصحيح فان الاديان السماوية جاءت لتوجه هذه الامم في مجالات عديدة ومنها المجال الاقتصادي ، وان الاديان على اختلافها جاءت بمواعظ وحكم للبشرية في مختلف شؤون الحياة (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء) (الاعراف 145) .

اذن هناك بيان لكل ما تحتاجه الامه من شؤون الاعتقاد والعمل واذا كان هذا حال الاديان السماوية الثلاثة وكتبها (التوراة والانجيل والزبور) التي لم تكن شاملة وكاملة لمختلف شؤون الحياة وانما بينت بعض ما يختلف فيه الناس (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) ... (الزخرف 64) فان الدين الاسلامي جاء خاتماً للاديان وشاملاً وكاملاً لكل مناحي الحياة فلم يترك شأن من شؤون الحياة (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الانعام 39) (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)(النحل 90) وهو يهدي لافضل المعالجات (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)(الاسراء 10) لهذا قام هذا البحث على فرضية ان الدين الاسلامي يشتمل على عوامل النمو الاقتصادي (الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنه)... (لقمان 21) وللبحث هدف اساسي وهو تعقب تلك العوامل ، على الاقل الاساسية منها وبيان أهميتها في النمو الاقتصادي ، بيد انه من الضروري الاشارة الى ان ذلك التعقب قد اقتصر على ما جاء في القرآن الكريم مع علم الباحث ان الدين الاسلامي انما يقوم على القرآن الكريم والسنة الشريفة الا ان الباحث قد تتبع الفرع الاول وهو ما جاء في القرآن الكريم وآثر أن يرجأ البحث بما حوته السنة الشريفة في هذا المجال الى بحث مفصل لاسباب منها :

- ضيق مجال النشر حيث يتوقع ان يكون مجال النشر في المجلات لا يتسع لبحث كلا الجانبين وبالتفصيل المطلوب .
- ان البحث في السنه الشريفة ربما يواجه بعض المشكلات من قبيل الاحاديث الصحيحه وغير الصحيحة مما يتطلب معالجة خاصة متأنية تحتاج الى زمن طويل نسبياً وقد قسم البحث الى ثلاثة مباحث فرعية :

المبحث الاول : تناول الباحث فيه عوامل النمو الاقتصادي في الفكر الاقتصادي الحديث .

المبحث الثاني : اختص بتحديد وتحليل دور عوامل النمو الاقتصادي المادية في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : اختص بتحديد وتحليل دور عوامل النمو الاقتصادي الاجتماعية في القرآن الكريم

الخلاصة .

المبحث الأول
عوامل النمو الاقتصادي في الفكر الاقتصادي الحديث

تتباين وجهات نظر الاقتصاديين في تحديد عوامل النمو الاقتصادي ، إذ ركز بعضهم على عوامل معينة في حين ركز آخرون على عوامل اخرى باعتبارها ذات أهمية واضحة في تحقيق النمو الاقتصادي ، فمن الاقتصاديين ذوي الاتجاه الرأسمالي من يرى ان عوامل النمو الاقتصادي تتحدد باربعة عوامل هي [1].

1. كمية القوى العاملة ونوعيتها .
2. كمية الموارد الطبيعية ونوعيتها .
3. كمية رأس المال الحقيقي ونوعيته .
4. مستوى التقنية التي توصل اليها المجتمع .
5. التنظيم

هذا اضافة الى متغيرات اخرى تشكل في مجموعها البنيان الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ومنها :

- الطبيعة التنافسية التي يقوم عليها الاقتصاد
- توزيع الدخل والثروة

([1]) والاس بيترسون : الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي ، ترجمة : صلاح دباغ ، مراجعة برهان وجاني – الجزء الثاني نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر – بيروت – نيويورك 1968 ص 327

- انماط اذواق المستهلكين .
- والاشكال السائدة للتنظيم التجاري والصناعي وغيرها من العوامل ذات الطابع المؤسسي

ويجمل د. الشافعي وهو أحد اقتصاديي العالم المتخلف والذين لديهم مزيج من الافكار عوامل التنمية الاقتصادية بثلاث عوامل هي : [1]

1- تغيير بنياني :

ويقصد به احداث تغيير في مساهمة القطاعات الاقتصادية في حصيلة الناتج المحلي، ان المقياس الذي يتم اعتماده هو تركيبة القطاعات الاقتصادية في البلدان المتطورة ، فاذا تابعنا مساهمة القطاع الاولى (الزراعة والمنتجات الاستخراجية) في البلدان المتخلفة لامكن ملاحظة ارتفاع تلك المساهمة في حصيلة الناتج المحلي الاجمالي وكذلك ارتفاع عدد العاملين في القطاع الاولي من مجمل القوة العاملة في حين تنخفض هذه النسبة في البلدان المتقدمة فاذا اريد تحقيق نمو اقتصادي فينبغي ان يحدث تغيير في مساهمة القطاعات الاقتصادية بحيث تنخفض مساهمة القطاع الاولى وتزداد مساهمة القطاعات الاخرى الانتاجية لاسيما القطاع الصناعي .

2- دفعة قوية :

وتتحدد بمقدار الاستثمار اللازم توظيفه بانتظام لتحقيق حد ادنى من معدل النمو الاقتصادي ويمكن تلخيص ذلك بالمعادلة الاتية :

$$\triangle ل = \frac{ر}{م} - \triangle س$$

حيث ان

$\triangle ل$ = معدل التغير في الدخل الفردي

ر = معدل الادخار الصافي الجاري

م = المعامل الحدي لرأس المال / الدخل

$\triangle س$= معدل التغيير في السكان .

([1]) د. محمد زكي الشافعي : التنمية الاقتصادية – الكتاب الاول ، دار النهضة العربية – القاهرة 1975،ص78.

وقد تباينت وجهات النظر في الحد اللازم أن يخصص من الدخل القومي لغرض الاستثمار فقد حدد روستو ذلك الحد بـ (5ر12%) من الناتج القومي الصافي ، ومن الواضح ان هذا المقدار غير كاف لتحقيق معدل نمو يعتد به ، فاذا فرضنا ان المعامل الحدي لرأس المال / الدخل يساوي (3) وان معدل نمو السكان هو (3%)

اذن 5ر12% - 3%

3

= 1ر4% -3%

= 1ر1 % معدل النمو المتحقق

ومنه يتضح مدى الموقف الحرج الذي تواجهه البلدان المتخلفة بصدد الارتفاع بمعدل النمو ، اذ ان اقتطاع نسبة اعلى من الدخل يعني تقليل مستوى الاستهلاك الجاري في حين تقليل تلك النسبة تعني تحقيق مستوى متدني من النمو الاقتصادي .

3- استراتيجية ملائمة :

وهنا كذلك تباين في وجهات النظر ، ومن اهم الاستراتيجيات [1] هي استراتيجية النمو المتوازن لـ (نيركسه) والنمو غير المتوازن لـ(هيرشمان) ويمكن التوكيد على نقطة أساسية وهي ان استراتيجية التنمية لايمكن ان تكون واحدة في جميع الانظمة ولابد من البحث عن الاستراتيجية وفقاً لخصائص وظروف البلد المعني .

ويرى منظروا النظام الاشتراكي المركزي ان التوازن السليم المحفز للنمو الاقتصادي لا يمكن تحقيقه الا اذا سادت التفضيلات العامة على التفضيلات الخاصة[2] والتقدم الاقتصادي بهذا المعنى ليس عملية عفوية بل هو عملية مدروسة تتحقق عن طريق التخطيط الاقتصادي [3].

([1]) للتوسع في استراتيجية التنمية الاقتصادية يراجع :- د. عطيه مهدي سليمان ، التشخيص الاقتصادي كاسلوب لتحديد استراتيجية التنمية في الوطن العربي مجلة الادارة والاقتصاد – الجامعة المستنصرية العددان الخامس والسادس – السنة الخامسة 1981ص 8.

([2]) د. عبدالمنعم السيد علي : مدخل في علم الاقتصاد – الجزء الثاني ، مطبعة جامعة الموصل-1984 ،ص 428 .

([3]) اوسكار رتشارد لانجه : التخطيط والتنمية الاقتصادية ترجمة هشام متولي ، دمشق – غير مؤرخ ص 25.

وقد وجدت فكرة التطور الاقتصادي تجسيداً عملياً ودفعاً قوياً خلال مدة حكم ستالين الذي نادى بمقولة (ما من قلعة لا يستطيع البلاشفه قهرها)[1] فكان يرى ان (القوة هي قابلة كل مجتمع قديم يحمل في احشائه مجتمعاً جديداً)[2].

وقد اقترحت نماذج رياضيه لتبين عوامل التنمية الاقتصادية ، فكان التوكيد على تطور العمل ونمو انتاجية القوة العاملة [3] .

ولا تقتصر عوامل النمو الاقتصادي على توفر العوامل الاقتصادية فحسب بل لابد من توفر الظروف السياسية والاجتماعية ، اذ لا يمكن تحقيق النمو الاقتصادي وان توفر رأس المال ، اذ ان رأس المال هو شرط ضروري ولكنه ليس كاف لتحقيق التقدم المطلوب[4] وهو ما توضحه تجارب بعض الاقطار المتخلفة إذ تتوافر لديها كميات كبيرة من رؤوس الاموال النقدية غير أن استخداماتها تتوزع بين الاستخدامات الاستهلاكية الترفيه غير المنتجة وبين ايداعها لدى البنوك العالمية مما يعرضها للتدهور في قيمتها نتيجة التضخم العالمي كما ان هذه الاموال نفسها يعاد اقراضها لدول نامية اخرى مما يزيد من تبعيتها نتيجة لشروط الاقراض وما يستتبعه من اجراءات التثبيت [5] التي تشترطها مجموعة البنوك المقرضة ومنها صندوق النقد الدولي .

اضافة الى عوامل اخرى مهمة وهي انعدام التوجه الحقيقي لتحقيق التنمية الاقتصادية وتحقيق النمو الاقتصادي وغياب الوعي باهمية التنمية لدى القيادات السياسية وانعدام المهارات البشرية عالية المستوى التي يفترض ان تكون شرطاً مهماً الى جانب توفر رأسمال النقدي او المادي . وكذلك انعدام البنية التحتية المساعدة للانطلاق نحو تحقيق التنمية المنشودة . اضافة الى تخلف البنيان الاجتماعي في هذه المجتمعات وعدم الاهتمام الجدي بتغييرها .

([1]) اسحق دويتشر : ستالين سيرة سياسية ، ترجمة : فواز طرابلسي ، دار الطليعة للطباعة والنشر – الطبعة الاولى ، بيروت 1969 ،ص 337 .

([2]) المصدر السابق نفسه ، ص 356 .

([3]) Michal Kalecki : intrduction to the theory of growth in socialist economy . pww-polish scientfic puplisher, first English edition 1969, p. 19 .

([4])Nurkse Ranger : problems of capital formation in underdeveloped countries, oxford university press, New York 1961, p.1 .

([5]) سلوى العنتري : أزمة ديون العالم الثالث بين التهدئة والمواجهة ، مجلة المنار – العدد (26-27) شباط – آذار 1987ص 88.

المبحث الثاني
عوامل النمو الاقتصادي المادية في القرآن الكريم

في الفكر الاقتصادي هناك توكيد على عوامل اقتصادية محدده وهي :

(العمل ، الطبيعة ، راس المال والتنظيم) بكونها تمثل العوامل الاساسية في النشاط الاقتصادي وبالتالي في تحقيق النمو الاقتصادي ، بيد انه لو تفحصنا هذه العوامل لوجدناها في حقيقة الامر تتركز في عاملين اساسيين هما (العمل والطبيعة) اما العاملين الآخرين (رأس المال والتنظيم) فهما لا يعدان من العوامل الاساسية ، اذ ان (راس المال في الحقيقة هو ثروة منتجه وليس مصدراً اساسياً للانتاج لأنه يعبر اقتصادياً عن كل ثروة تم انجازها وتبلورت خلال عمل بشري لكي تساهم من جديد في انتاج ثروة اخرى)[1]. اما التنظيم فهو لا يعدو عن كونه نوع من العمل . ويبدو للباحث ان عوامل النمو الاقتصادي المادية في القرآن الكريم تبقى العمل والطبيعة ويمكن تفصيلها كما يأتي :

اولا: وجود خليفة مكلف باعمار الارض .

ثانياً : وجود الارض وتسخيرها .

ثالثا: وجود الماء

رابعاً : وجود الرياح

خامساً : وجود الطاقة الحرارية .

سادساً : تبدل الظروف المناخية(تباين واختلاف الظروف المناخية)

اولا- وجود خليفة مكلف باعمار الارض :

يمكن القول ان حقيقة النمو الاقتصادي انما تعود أصلاً الى ارادة الانسان ونزوعه الى التحرك والتغيير وهذه الارادة تعود الى ما اودعه الله فيه من مزايا خاصة ، ستجري متابعة أثر وجود الخليفة على النمو الاقتصادي كما يأتي :-

---

([1]) محمد باقر الصدر : اقتصادنا ، مكتب الاعلام الاسلامي – طهران ، الطبعة الاولى 1417 هـ/ ص 415.

1. وجود قوة فاعلة على سطح الارض تستطيع الابداع (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة [*] – (البقرة 30).
2. ان هذه القوة الفاعلة قادرة على التكاثر (افرايتم ما تمنون ، انتم تخلقونه ام نحن الخالقون) – (الواقعة 58–59) فهذه القوة قادرة على التجدد والتكاثر بفعل ما اودعه سبحانه وتعالى فيها من قوة على ذلك .
3. ان وجود خليفة في الارض لم يكن وجوداً يشبه وجود بقية الكائنات الحية القادرة على التكاثر العددي فحسب وانما يتمتع بما يمكنه من الابداع والتطور (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) (السجده 9) (الم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين) – (البلد 8–9) وبذلك تمتع هذا الموجود بمزايا تمكنه من ادراك ما حوله ادراكاً عميقاً وليس ادراكاً سطحياً ، ثم بعد ذلك له القدرة للتعبير عما يدور في نفسه (علمه البيان) (الرحمن 5) فقدرة الانسان على الكلام من اعظم واعجب النعم ولا بيان بلا كلام .
4. وبعد ذلك هداه سبحانه وتعالى واوضح له طرق الخير والشر واعطاه حرية الاختيار (وهديناه النجدين) – (البلد 10) .
5. ان الله سبحانه وتعالى قد جعل تبايناً تكونياً بين البشر ، فالانسان اصلاً يتمايز جنسياً بين ذكروأنثى ولكل منهما مهمه لا يمكن ان تؤتي ثمارها لوحدها وانما يجب ان يجتمعا معاً لكي يؤديا ذلك الدور ويفهم من الآيات الشريفة ان في خلق الانسان (ذكر وانثى) يترتب على كل منهما واجبات اساسية فالانثى واجبها الاساسي هو الحمل وتربية او حضانة الاطفال وهي مهمة ساميه مع امكانية قيامها بادوار اخرى في المجتمع كالعمل في بعض المجالات التي تتناسب ورقة المرأة ، اما الذكر فان واجبه الاساس هو العمل في المهمات الصعبة والقتال ، وكما ان هناك تمايز بين (الذكر والانثى) فان هناك تمايز في القدرات (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على موليه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) – (النحل 77). وهكذا فان هناك تخصص تكويني واجتماعي ويفترض ان يتفرغ كل شخص الى واجبه فيعرفه تماماً وان يؤديه على الوجه الاكمل لكي يكون هناك نمو اقتصادي واجتماعي .

([*]) وقد وردت اشارات الى هذا الخليفة في مواضع اخرى منها (النمل –63)، (الانعام 133و165) وسوف يكتفي الباحث باقل الاشارات لضيق المجال ولوضوح المعنى .

6. واخيراً بعد الوجود والتمتع بالمزايا التي تمكنه من الابداع أمر سبحانه وتعالى خليفته بالحكم بين الناس بالحق (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (ص 26) واستعمره في الارض (هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود 61) أي اعمار الارض والانتفاع منها .

ثانياً وجود الارض وتسخيرها :

للارض أثر بالغ في عملية النمو الاقتصادي وهذا الأثر يتضح من خلال تهيأة الله سبحانه وتعالى البيئة التي يعمل فيها الانسان وهي الأرض ويمكن بيان آثار الأرض في النمو الاقتصادي من خلال متابعة .

العوامل التي هيأها الله سبحانه وتعالى للانسان لكي يقوم باعمار الارض وهي :

1. (جعل الارض مهداً)(طه –53) فالأرض هي مهد الإنسان الذي يترعرع فيه ومن الصعوبة بمكان تصور تكامل الانسان وهو يعيش في بيئة غير الارض كالقمر مثلاً وذلك لانعدام الجاذبية وفقدان الكثير من العوامل التي يحتاجها في حياته .
2. جعل الارض قراراً (الله الذي جعل لكم الارض قراراً)(غافر 64) ولعامل الاستقرار أثر بالغ في النمو الاقتصادي اذ بدون هذا الاستقرار تتضائل عملية النمو الاقتصادي ان لم تتوقف لذا فانه سبحانه وتعالى (القى في الارض رواسي ان تميد بكم) (النحل 15) .
3. جعل الارض ذلولاً (هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها) – (الملك 15) اذ ان الانسان يتخذ الارض جملاً وينتقل من مكان لآخر طلباً لحاجاته المتعددة .
4. جعل فيها سبلاً (الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيهاسبلاً لعلكم تهتدون) (الزخرف –10) ومن خلال هذه السبل يستطيع الانسان التنقل في ارجاء الارض المترامية الاطراف .

5- بسط الارض (والله جعل لكم الارض بساطاً ، لتسلكوا منها سبلاً فجاجا) (نوح 19-20) (والأرض بعد ذلك دحيها)(النازعات 30) (والارض فرشناها فنعم الماهدون)(الذاريات 48) ولو لم يجعل سبحانه وتعالى الارض مبسوطه لاصبح التنقل والعمل فيها صعباً ان لم يكن متعذراً وبذلك صار الانسان قادراً على العمل المنتج لكون الارض مبسوطة.

6. بث في الارض من كل دابة (وبث فيها من كل دابة) (لقمان 10) (وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج)[*] (الزمر 6) .

(*) وهي الابل والبقر والضأن والمعز .

وهذه الدواب تفيد الانسان في معيشته وفي تنقله وحربه واستخدامها للانتاج (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاماً فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون)(يس 71-73) .

7.وجعل فيها جنات (وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب) (يس 34) . (وقدر فيها اقواتها) (فصلت 10) (وانبتنا فيها من كل شيء موزون) (الحجر 19) (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين)(الحجر 20) .

فالله سبحانه وتعالى يسر معيشة الانسان بأن جعل في الارض جنات من نخيل واعناب وأنبت سبحانه كل شيء بقدر موزون وحسب ما تقتضيه الحكمة الالهية (الم تر ان الله سخر لكم ما في الأرض) (الحج- 65) .

8. وسخر لبني آدم ما في الارض (افرايتم ما تحرثون ، انتم تزرعونه ام نحن الزارعون) (الواقعة 63-64). (ثم شققنا الأرض شقا ، فانبتنا فيها حباً، وعنباً وقضباً) (عبس 26-28) ولو لم يسخر الله سبحانه وتعالى الارض لخدمة الانسان فتصبح ذلولاً في تنقله ومستجيبة للزرع بل أحياناً تعطي ما في داخلها من عيون ومعادن حتى من غير ان يباشر الانسان عملاً شاقاً ، لكانت حياة الانسان صعبه .

ثالثاً وجود الماء :

لا يمكن تصور وجود حياة ولا نمو اقتصادي من دون وجود الماء فالماء اصل الحياة واساس النمو واشار سبحانه وتعالى الى هذه الحقيقة عندما قال(وجعلنا من الماء كل شيء حي) (الانبياء -30) ولأن الماء اصل الحياة فقد جعل سبحانه وتعالى مساحة الماء من الكره الارضية هي النسبة الغالبة لتصل الى ثلاثة ارباع مساحة الارض ولا تقتصر خصائص الماء على خاصيته الكمية لكونه يشكل (75%) من مساحة الكرة الارضية وانما الى جانب ذلك يتصف بأنه عذب ولذلك يخاطب سبحانه وتعالى عباده (افرايتم الماء الذي تشربون ، أنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون . لونشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) (الواقعة – 68-70) فلم يجعل سبحانه وتعالى الماء مالحاً في الاصل وانما جعله ماءً فراتا (واسقيناكم ماءً فراتا) (المرسلات 27) . والى جانب كون الماء عذب فهو ماء مبارك (ونزلنا من السماء ماءً مباركاً)(ق- 9) وذلك لكثرة خيراته العائدة الى الارض وسكانها وربما عنصر البركة في ماء المطر الى جانب أهميته في السقي بما يحمله من عناصر كيميائية كالنتروجين الذي تحتاجه النباتات .

رابعاً – وجود الرياح :

للرياح بالغ الأثر في وجود الانسان وسائر الكائنات الحية وفي النمو الاقتصادي وربما امكن إجمال الفوائد المترتبة على وجود الرياح بما يأتي .

1. نقل السحاب:

(وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات) (الاعراف 57) وبذلك تنقل الرياح كميات كبيرة من المياه ربما يصعب على الانسان نقل مثل هذه الكميات أو ان نقل هذه الكميات يحتاج الى صرف مبالغ باهضة واحياناً تصل مياه الامطار الى مكانات يصعب على الانسان الوصول اليها مثل قمم الجبال والصحاري القفار ويستتبع ذلك احياء مناطق كانت ميته وخروج الثمرات في المناطق التي وصلت اليها مياه الامطار وتفجر عيون الماء وتكون الشلالات التي تستخدم في الوقت الحاضر للحصول على الطاقة الكهربائية .

2. الرياح لواقح :

للتلقيح أثر مهم في النمو الاقتصادي لذا يعمل اصحاب المزارع على تلقيح الاشجار لاجل زيادة المحاصيل التي يحصلون عليها وبذلك يتحملون مبالغ وجهود باهضة ويمكن للرياح ان تؤدي دور كبير في التلقيح اذ أنها تنقل حبيبات اللقاح (وارسلنا الرياح لواقح) (الحجر – 22) وبذلك تقوم الرياح بتلقيح اعداد كبيرة من الاشجار والازهار مما يساعد على زيادة الانتاج .

3. الرياح تساعد في تسيير السفن

كان الانسان ولا يزال يستغل هبوب الرياح من اجل تنقله في السفن (ومن أياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (الروم 46) ولا شك في ان السفن وسيلة من وسائل النمو الاقتصادي اذ يمكن من خلال النقل بالسفن زيادة التجارة الداخلية والخارجية وبذلك تساهم في النمو الاقتصادي .

4.تصريف الرياح

وهو توجهها من جانب الى جانب حيث تتكون التيارات الهوائية من اختلاف درجات الحرارة بين الارض والجو ، وتساعد الرياح في إحداث تغييرات في درجات الحرارة في المناطق المختلفة وتلطيف الجو ، كما تساعد الرياح في النقل الجوي حيث تستطيع الطيور والطائرات استخدام الرياح في اختصار الزمن والوصول الى الاماكن التي تقصدها بيسر وبذلك تساعد الرياح المناسبة على

النمو الاقتصادي من خلال تغيير في انماط الفصول الاربعة وبذلك يتغير الزرع والحرث وتتغير كذلك انواع النباتات التي تستخدم في الاستهلاك المحلي والدولي .

5- أثر الرياح في تجفيف المحاصيل

تساهم الرياح في زيادة الانتاج الزراعي ذلك أن الرياح تعمل في تجفيف المحاصيل وبذلك يحصل الفلاحون على منفعة من هبوب الرياح لتجفيف محاصيلهم مما يعني زيادة الانتاج او زيادة المنفعة من الانتاج المتحقق اذ ان حفظ المحاصيل دون تجفيفها يمكن أن يؤدي الى تعفنها وربما احداث أمراض نتيجة ذلك التعفن .

6- أثر الرياح في تذرية المحاصيل

كان الانسان وربما لا يزال في مناطق عديدة يستخدم الرياح في تذرية المحاصيل اذ تساعد الرياح علىفصل الحبوب عن قشورها مثل فصل حبوب الحنطة والشعير عن التبن وهكذا سائر المحاصيل ، ولهذه العملية أثر واضح في النمو الاقتصادي في الأزمنة السابقة على اختراع الحاصدات الحديثة التي تساعد على الحصاد وفصل الحبوب عن اجزاء المحصول الاخرى مما له بالغ الأثر في النمو الاقتصادي .

خامساً – وجود الطاقة الحرارية :

للحرارة أهمية في حياة الانسان وسائر الكائنات الحية، ان مصادر الطاقة يمكن اجمالها بما يأتي [1] .

1. المصادر التقليدية : الاخشاب ومخلفات الحيوانات
2. مصادر عادية (تجارية) النفط والغاز والفحم والوقود النووي .
3. مصادر متجددة : الطاقة المائية ، الطاقة الحرارية الجوفية ، الطاقة الشمسية ، طاقة الرياح ، طاقة الامواج .

وربما يمكن القول أن أهم مصدر من مصادر الطاقة هي الطاقة الشمسية اذ ان وجود الشمس انما يعني استمرار للحياة وبالتالي استمرار لبقية مصادر الطاقة (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) (يس 38) فللشمس اهمية في حياة الكائنات الحية وقد سخرها سبحانه وتعالى للكائنات الحية فبنورها وبطاقتها يمكن للكائنات الحية البقاء والعمل والتطور (أفرايتم النار التي

([1]) د. احمد حسين علي الهيتي ، اقتصاديات النفط ، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، 2000 ص 13.

تورون انتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون) (الواقعة 71-72) ومن الصعوبة تصور حصول نمو اقتصادي في مكان ما عند فقدان الطاقة الحرارية ، لذا نجد اليوم هناك قلق كبير بشأن الطاقة الحرارية مما يجعل اسواق النفط تشهد متابعة مستمرة لاسعار النفط ومشتقاته وتعقد الصفقات لاجال طويلة من أجل ضمان الحصول على الطاقة بهدف استمرار النشاط الاقتصادي وتحقيق النمو.

سادساً – تبدل الظروف المناخية :

تتبدل الاحوال الجوية من حيث شدة الحر والبرد ، الضوء والظلام وزيادة سرعة الرياح وسكونها وتتبدل مع تبدل هذه الظروف حاجة الكائنات الحية للطاقة الشمسية وضوء القمر فتارة تحتاج بعض النباتات للمزيد من الطاقة الشمسية لكي تعطي الثمار الجيدة لذا نجد ان طول النهار خلال هذه المدة يمتد لساعات اطول وعندما تنتهي الحاجة للطاقة الشمسية تبدأ ساعات النهار في التناقص لكي تكون درجات الحرارة تتناسب مع حاجة محاصيل اخرى أقل حاجة للطاقة الشمسية كما ان ظاهرة المد والجزر دلالة اخرى على اختلاف الظروف التي تحصل خلالها هذه الظاهرة اذ تحصل ظاهرة المد ليلاً والجزر نهاراً مما يمكن الكائنات الحية ومنها الانسان من توظيف هذه الظاهرة في خدمة الانتاج لاسيما استغلال هذه الظاهرة في السقي وفي تنظيف الانهار ومرور السفن وغيرها من المجالات الانتاجية التي تحصل خلال ظاهرة المد والجزر (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ... لآيات لقوم يعقلون) ، (البقرة –164) .

كما تتبدل الاحوال خلال فصول السنة ، فانها تتبدل في اليوم الواحد بين ليل ونهار (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) (الزمر –5) وبذلك يحصل النهار والليل فبعد العناء خلال ساعات قيام الكائنات الحية بالجهد المطلوب منها تخلد الى الراحة فبعض الكائنات تنشط خلال النهار واخرى تنشط ليلاً ، وبقدر تعلق الامر بالنمو الاقتصادي نجد ان ساعات العمل الاعتيادية غالباً ما تحصل خلال النهار حيث تنشط المجموعات البشرية في العمل خلال هذه المدة وبعدها تخلد الى الراحة لكي تأخذ قسطاً من الراحة وتجدد قواها ليوم عمل آخر . (وجعلنا الليل لباساً، وجعلنا النهار معاشاً) (النبأ 10-11) .

وكل ذلك يحصل بنظام الهي محكم (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)(يس 40) .

فالتدبير الالهي قضى بان تكون حركة الشمس والقمر حركة دائبة دائمة غير مختله .

المبحث الثالث
عوامل النمو الاقتصادي الاجتماعية في القرآن الكريم

مما لا شك فيه ان للعوامل المادية دور كبير في النمو الاقتصادي وذلك يعد شرطاً ضرورياً الا انه يمكن القول كذلك بانه وان كان شرطاً ضرورياً الا انه غير كافٍ لاحداث النمو الاقتصادي ، ولا بد من توافر عدد من العوامل الاجتماعية التي لاغنى عنها لكي تؤتي العوامل المادية دورها المنشود ، واذا كانت عوامل النمو الاقتصادي- الاجتماعية عديدة فان الباحث سيحاول التركيز على أهمها وهي :

اولا- الايمان بالله ورسله وكتبه

ثانيا - توليه الامين الحكيم .

ثالثاً - وجود التنظيم الاجتماعي .

رابعاً - حسن التصرف بالموارد الاقتصادية .

خامساً- محاربة الفساد باشكاله المختلفة .

سادساً - حسن التعلم والتعليم

سابعاً - التدبر .

ثامناً - القيام بالعمل المنتج .

تاسعاً - طلب العون من الله (سبحانه وتعالى)

اولا - الايمان بالله ورسله وكتبه :

للايمان بالله ورسله وكتبه دورٌ فاعل في جلب المنافع الدنيوية فضلاً عن الاخروية وهو ما تشير اليه آيات عديدة في القرآن الكريم (ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)(الاعراف 96).

وقد يؤمن الناس لفظاً ويبقى سلوكهم غير ايماني ولا جدوى من ذلك الايمان فلا بركة تترتب عليه او ترتجى منه .

والايمان بالله من شأنه تحقيق اغراض عديدة ، فهو شفاء لما في الصدور من آحزان وضيق كما انه هدى ورحمة (يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)(يونس 57) ، ولاشك في أن من شأن ذلك أن يجعل الناس يتصرفون بآمال واسعة بعد ان تفتحت صدورهم وذهب عنها الضيق والحزن وبعد أن إنهال الهدى والرحمة على الناس مما يجعلهم ينشطون في العمل من اجل دنياهم مما يعني تحقيق المزيد من النمو

الاقتصادي ولا عجب في ذلك فان (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) (البقرة 257) فهو خير عون لمن آمن واتقى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق 2-3) وهل هناك اعظم مخرجاً من تلك السبل التي يفتحها الله سبحانه وتعالى وهل هناك أوسع واطيب رزقاً مما يفيضه سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين .

ثانياً- توليه الامير الحكيم:

بعد ان تؤمن الامه بنبيها المرسل وما جاء به من احكام عن طريق الله سبحانه وتعالى عليها ان تسلم أمرها الى هذا النبي المرسل وما جاء به من أحكام اذ ان لكل امه منذر ومن بعد المنذر هناك هاد (انما أنت منذر ولكل قوم هاد) (الرعد7) وعلى الامه ان تكون مطيعه لله ورسوله وائمتها اذا ما ادعت الايمان وارادت الرقي في حياتها وآخرتها (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدو في انفسهم حرجً مما قضيت ويسلموا تسليما) (النساء 65).

ومن استقراء مسيرة الامم نجد ان النكسات التي منيت بها إنما تعود الى تنصلها وانكفائها على نفسها فلا تتمسك بتوصيات الانبياء . لذا تبدأ هذه الامم بالتراجع في شتى المجالات والمجال الاقتصادي واحد منها ، فبدل النمو الاقتصادي يحصل تخلف اقتصادي ولنا في قصة سيدنا يوسف (ع) خير شاهد على ذلك اذ بعد ان علم الملك علم وآمانة يوسف (ع) اراد ان يستخلصه لنفسه (فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين * قال إجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) (يوسف 54-55) فكان ما كان من شأنه (ع) في مواجهة السنوات العجاف .

وخير من يؤتمن على مقاليد الامور هم الاقوياء الامناء (ان خير من استأجرت القوى الأمين) (القصص 26) فهؤلاء الاقوياء الامناء يستطيعون جلب الخير كما انهم في ذات الوقت يحافظون عليه ويضعونه الموضع المناسب .

ثالثا – وجود التنظيم الاجتماعي

يتطلب النمو الاقتصادي وجود تنظيم اجتماعي باشكاله المتنوعة ومن اشكال التنظيم الاجتماعي التي لا غنى عنها :-

1- وجود دولة (سلطه عامة)

فاذا كان المفكر الاقتصادي الحديث يؤكد على ضرورة وجود التنظيم بوصفه عامل اساسي من عوامل النمو الاقتصادي فان الفكر الاسلامي كان سباقاً في هذا المجال .

- اذ اكد سبحانه وتعالى على ان البشر مهما تطورت قابلياتهم التنظيمية فانهم يبقون قاصرين عن استيعاب كل الحقائق لذا يبقى الحكم الفصل هو لله سبحانه وتعالى (ان الحكم الا لله) (يوسف 40) واحياناً تستعصي مسألة تعيين خليفة لنبي من الانبياء حتى على الانبياء انفسهم لذا فانهم يعودون الى الله في طلب العون في تعيين الخليفة كما حصل ذلك لنبي الله آدم (ع) فامر الله نبيه آدم بان يأمر إبنيه هابيل وقابيل ان يقربا قرباناً فكان ما كان في هذه المسألة (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا) (المائدة 27) .

وعندما خاطب جل ثناءه نبيه ابراهيم (ع) (قال اني جاعلك للناس إماماً – البقرة 124)[1] يبدو ان ابراهيم (ع) احب ان تشمل تلك الامامة أبنائه لذا سأل ربه عز وجل (قال ومن ذريتي) فجأه الجواب على ذلك (قال لا ينال عهدي الظالمين).

لذا فان الله سبحانه وتعالى حصر الولاية المطلقة بالنبي (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) (الاحزاب 6) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنه اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (الاحزاب 36) .

وبعد هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة المنورة بدأت عملية التنظيم تأخذ أبعاد شاملة وواضحة حيث اسس المسجد النبوي وفيه بدأت تعقد الاجتماعات التنظيمية (واذ غدوت من اهلك تبوىء المومنين مقعد للقتال) (آل عمران 122) ففي المدينة بدأ رسول الله (ص) بعمليات تنظيمية واسعة كان من أهمها المواخاة بين المهاجرين والانصار وكانت هذه المواخاة تهدف الى اغراض متعددة من اهمها حل المعضلة الاقتصادية المتمثلة باعالة المهاجرين . كما ان الرسول (ص) بدأ يتعهد المهاجرين ببعض الحصص الاضافية من الغنائم لأجل جعلهم يعتمدون على انفسهم .

2- سيادة السلام :

فالسلام عامل تنظيم لعلاقة الفرد باشياء كثيرة ولعل أهمها :-

آ- علاقة الفرد بالله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا بالسلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (البقرة 208) .

ب- علاقة الفرد بالاسرة اذ جعل الله العلاقة الزوجية سكن ورحمه (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (الروم 21) .

([1]) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، الجزء الاول ، منشورات مؤسسة الامام المنتظر (ع) ايران –قم / الطبعة الاولى المحققة1425هـ –2004م ،ص271.

ج- علاقة الانسان بنفسه والاسلام يأمرنا ان نكون مصلحين لانفسنا وان لا نظلمها (ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة) (الزمر 15) .

3- الوفاء بالعقود

ومن صور التنظيم الاجتماعي المفضية الى النمو الاقتصادي هي الوفاء بالعقود (يا ايها الذين آمنوا آوفوا بالعقود) (المائدة –2) وكان شان الوفاء بالعقود والعهود انه سبحانه وتعالى اكد على ذلك في مواضع عديدة(وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به) (الانعام 152)

ومن اجل تنظيم المعاملات وحرصاً على سد أبواب الخلاف أمر سبحانه وتعالى بتنظيم المعاملات بين المؤمنين انفسهم (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين آلى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) (البقرة 282) وآمر سبحانه بتوثيق ذلك الكتاب بالشهود ، وفي حالة السفر ولم يجد المتعاملون كاتباً فيعمدون الى توثيق التعامل بالرهان المقبوضه فان آمن بعضهم بعضاً فيؤد الذي أوتمن امانته وليتق الله ربه (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) (النساء 58) .

4- الوفاء بالكيل والميزان

ومن عوامل النمو الاقتصادي الوفاء بالكيل والميزان اذ في ذلك عدم تعريض بعض المتعاملين الى خسائر او افلاس لاسباب لا تعود الى كفاءة هؤلاء المتعاملين وانما بسب السرقة التي يتعرضون لها من قبل من يقومون ببخس الناس اشياءهم . لذا أمر سبحانه وتعالى بالوفاء بالكيل والميزان (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) (الانعام 152) .

وتوعد سبحانه المطففين (ويل للمطففين * الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون * واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) (المطففين 1-3) .

5- تفصيل الأرث :

إن الاموال كثيراً ما تثير الاختلافات بين الناس لذا جاءت آيات عديدة لتفصل قسمة الاموال ومراعاة الجانب المالي اضافة الى ما جاءت به السنة الشريفة (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) (النساء 11) وهناك تفصيلات عديدة في قسمة الاموال وحسب أحوال الاشخاص ذوي العلاقة بالاموال كما هي وارده في سور عديدة ومنها سورة النساء وشدد سبحانه وتعالى على وجوب مراعاة مال اليتيم وعدم التعامل معه الا بما يساعد على حفظه ونمائه (ولا

تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده) (الانعام 152) وعند تسليم الاموال يجب احضار الشهود (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) (النساء6) وفي قسمة الاموال ليست العبرة في كثرتها وانما في مراعاة الانصبه المفروضة لذوي العلاقة (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو اكثر نصيباً مفروضاً) (النساء 7) .

6- التوكيد على التعاون

للتعاون نتائج محموده في مجالات عديدة ومن المؤكد ان الجانب الاقتصادي واحد منها فكان سبحانه وتعالى يؤكد على التعاون (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (المائدة 2) .

ونجد التوكيد على تجنب التنازع في مواطن عديدة لتجنب الفشل وتفرق القوه (واطيعوا الله ورسوله ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) (الانفال 46) .

رابعاً – حسن التصرف بالموارد الاقتصادية :

لأهمية الموارد الاقتصادية في الحياة نجد الشارع تبارك وتعالى قد أكد على ضرورة حسن التصرف بها (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً) (النساء 5) وأمر سبحانه وتعالى بالتثبت في حصول الرشد في الافراد قبل دفع الاموال اليهم (فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) (النساء 6) .

ونهى سبحانه وتعالى عن استخدام الاموال للحصول على منافع بدون وجه حق (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) (البقرة 188) ومن المناسب الاشارة الى ان واردات بيت المال تأتي من المصادر الاتية [1].

1- الزكاة
2- الخراج
3- الجزيه
4- الخمس (غنيمة الفيء)

([1]) د. حسن عيسى الحكيم : النظم الاسلامية، رئاسة جامعة الكوفة – كلية الفقه محاضرات لطلبة المرحلة الثالثة طبعت في مكتب الرواد للطباعة – بغداد 1990 ص 124 .

5- العشور
6- الضرائب

اما مصاريف بيت المال فهي[1] :-

1- العطاء
2- الارزاق
3- الانفاق على المنشآت العامة .
4- الانفاق على الخدمات العامة
5- النفقات العسكرية

ولحسن التصرف بالموارد الاقتصادية علاقة وثيقة بتوزيع واعادة توزيع الدخل والثروة في المجتمع الاسلامي ، ويمكن ان نتلمس التوزيع واعادة التوزيع في القرآنم الكريم من السنن والتشريعات الالهية الآتية :-

اولاً- هناك توزيع الهي ليس للبشر يد به بصورة مباشرة وانما تكون علاقة البشر بذلك التوزيع من خلال علاقة هؤلاء البشر بالله سبحانه وتعالى من ذلك الذين يستمطرون رحمة الله من خلال حسن عبادتهم .

(وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)(البقرة 164) فالرياح والسحاب يمكن لها ان تساهم في تنمية او تدمير بلدان ومجتمعات معينة وان تعيد توزيع الخير وفقاً لمشيئة الله سبحانه وتعالى ومن ذلك الامطار والرياح المناسبة التي تساعد في النمو والامطار الغزيرة والرياح العاتية التي تسبب الدمار .

وليس من شأن الامور البقاء على حال واحد وانما قضت الارادة الالهية باحداث تحول مستمر (وتلك الايام نداولها بين الناس) (آل عمران 140) .

ثانياً : وهناك توجيهات آلهية مباشرة يستفاد منها وجوب العدل في التوزيع (اعدلوا هو اقرب للتقوى) (المائدة –8) فالعدل في التوزيع هو اقرب لمرضاة الله سبحانه وتعالى وهي السياسية التي سار عليها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والخليفة ابي بكر (رض) والامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقال سبحانه (انما المؤمنون اخوة) (الحجرات –10) . أي

([1]) د. حسن الحكيم – نفس المصدر / ص 146.

راجعون الى اصل واحد وهو الايمان [1]. مما يستلزم معه العدل في التوزيع بينهم وفق القواعد الشرعية التي جاءت في الكتاب المنير.

واذا كان الاسلام ينكر تبعية التوزيع لاشكال الانتاج كما تذهب الى ذلك الافكار الماركسية فانه لا يقطع الصلة بين التوزيع وشكل الانتاج قطعاً كلياً وانما الصلة في رأي الاسلام بين التوزيع والانتاج ليست علاقة تبعية تنتج عن قانون طبيعي وانما هي صلة يفرضها المذهب ويحدد فيها الانتاج لحساب التوزيع [2].

ثالثاً : كما ان التشريعات الآلهية تنهى عن تكديس الاموال (وما آفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)(الحشر –7) وفي ذلك يتم الوصول الى توازن في التوزيع ولا تتكدس الاموال بيد قلة من الناس وهو امر يساعد على تحقيق توازنات اجتماعية واقتصادية اكد عليها القرآن الكريم قبل ان تتطرق لها الادبيات الاقتصادية الحديثة .

رابعاً: من التوجهات الآلهية هي توضيح ما ينبغي انفاقه وعدم تكديسه (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) (البقرة 219). أي أن ما ينبغي انفاقه هو ما يفضل عن حاجة الانسان ، ينفق على من هو بحاجه له .

خامساً : مواجهة الفساد باشكاله المختلفة .

حرص الشارع تبارك وتعالى على مواجهة أسباب ومظاهر الفساد باشكاله المختلفة وسيتم التركيز على اهم اشكال الفساد وهي :

أ- تحريم قتل النفس بغير حق .

شددت الآيات الشريفة في مواضع عديدة على النهي عن قتل النفس الا بالحق (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأً كبيراً) (الاسراء31) وتكرر النهي في موضع آخر (ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) (الانعام 152) كما نهى سبحانه وتعالى عن قتل الموؤدة وكان النهي بصيغة تساؤل (واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت) (التكوير– 7–8) وهذا القتل كان شائعاً في الجاهلية خشية العار الذي يلحق بالرجل او قبيلته بسبب ما ينتج عن

([1]) محمد سليمان عبدالله الاشقر . زبد التفسير من فتح القدير ، الطبعة الثانية 1408 هـ–1988م ص137.

([2]) محمد باقر الصدر – مصدر سبق ذكره ص642

الغزو من أسر النساء ، ويؤكد سبحانه على ان قتل الاولاد سفهاً بغير علم يعد خسارة (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم) (الانعام 140).

ولاجل التضييق على محاولات القتل وتقليل التفكير به وضعت التحذيرات المؤكده والعقوبات المالية الصارمة . فمن التحذيرات ما نقرأ :

(من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعاً) (المائدة 32).

-(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً) (النساء – 93) .

- (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل) (الاسراء –33)

ومن العقوبات المالية الصارمة ما نقرأ .

- (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنه وديه مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا) (النساء 091)

-(فان كان من قوم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) (النساء 92) .

- (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمه الى أهله وتحرير رقبة مؤمنه) (النساء –92) .

ويكفي الاشارة الى التشديد في العقوبات المالية على القاتل هو ما نلحظه من جسامة الدية التي يفرضها الشارع الاسلامي على القاتل فدية قتل المسلم العمدي تبلغ (مئة بعير فحل من مسان الابل او مئتا بقرة او الف شاة)[1].

فاذا ما تم تقييم ذلك باسعار السوق لتوضح لنا المبلغ الباهض الذي يفرض على القاتل وهو مما لاشك فيه يشكل خسارة اقتصادية يجب ان يتحملها القاتل أو أن يعرض نفسه الى القتل .

ب- تحريم ومحاربة الزنا :

نظراً لما في الزنا من أثر في تهديم الاسرة والمجتمع فقد شن الشارع تبارك وتعالى حرباً ضروساً على الزنا (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) (الاسراء 32) وكلمة لا تقربوا الزنى يفهم منها التنفير عن القرب من الزنا فضلاً عن الوقوع فيه مما يفهم منه مدى خطورة هذه الظاهرة في افساد المجتمع وتهديم أواصره الاجتماعية واشاعة حالة القتل طلباً لغسل العار ثم

([1]) السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي : تكملة مباني المنهاج – الجزء الثاني ، مطبعة الديواني – بغداد 1992 ص 187.

ازدياد الانفاق على أوجه غير منتجه وقد شدد سبحانه وتعالى في عقوبة الزاني والزانية (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (النور 2) ففي الآية الكريمة تشديد لعقوبة الزاني والزانية فكل واحد منهما يجلد مائة جلده ، كما تكون عقوبتهما على مرأى من المؤمنين لكي يكون للعقوبة أثرها الاجتماعي الرادع ولخطورة الزنا نجد هناك تشديد على من يرمي المحصنات ، أي الادعاء بقيامهن بممارسة الزنا في ان يكون له اربع من الشهود فان لم يأت بالشهود فيعد كاذباً ويستحق ان يجلد ثمانين جلده (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده) (النور4) الا اذا كان المدعي هو الزوج نفسه فان لمَ يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين .

ج- تحريم ومحاربة الربا

للربا مضار عديدة اقتصادية واجتماعية والربا مرض وبيل وداء عضال لا يصيب مجتمعاً من المجتمعات الا انهك قواه وفرق شمله وارهق اعضائه ولذلك قال جل ثنائه (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة)(آل عمران 130).

للمضار التي يقود اليها الربا اعلن الاسلام حرباً لا هواده فيها على الربا والمرابين (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربو ان كنتم مؤمنين.فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله)(البقرة 278-279) .

ودعا الى بدائل افضل من التعامل الربوي (وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) (البقرة 279) واطلق التعامل في اصناف المعاملات في وجوه الكسب ، كما نوه جل شأنه الى تيسير أمر المعسر وذلك بامهاله لحين القدرة على التسديد واشار الى ما هو افضل من ذلك وهو استحباب التصدق بالدين عن المعسر ، وفي ذلك خير بابدال الزيادة من طريق الربا الذي يمحقه الله بالزيادة من طريق الصدقة الرابية حقاً (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (التوبة 103).

د- محاربة الطغيان

من الاسباب المهمة في تراجع الامم وهلاكها هو الطغيان وهو عماد مظاهر مقيتة عديدة تنتج عنه وأهمها (الفساد والظلم) فالمجتمعات التي يزداد فيها الطغيان تكون غرضاً للهلاك (وفرعون

ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك بالمرصاد) (الفجر 10-14) .

وربما كان الظلم ونعني به (وضع الشيء في غير موضعه)[1] من أهم أسباب هلاك الامم ، فقد يوضع انسان في موضع عال لا يستحقه او على العكس قد يوضع آخر في موضع ادنى وفي الحالتين هناك ظلم ، لذلك نجد في الوقت الحاضر هناك توكيد على بعض المقولات مثل (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب) وتعمل المجتمعات على بناء المؤسسات التي تضمن او على الاقل تحاول الوصول الى ذلك.

وكان القرآن الكريم قبل ذلك قد اكد على هذه القاعدة (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر 9) . ولكن السؤال الذي يطرح في هذا الصدد هو: هل ان المجتمعات الاسلامية التزمت بهذه القاعدة عند اختيارها لقادتها ؟ يبدو ان الجواب على هذا التساؤل هو بالنفي اذ كثير ما يقدم الادنى على الافضل علماً ودراية بالامور، لذلك ظلت هذه المجتمعات في تراجع مستمر (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون)(النمل – 52) والشواهد على هلاك الامم لطغيانها وظلمها كثيرة (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا)(يونس –13).

هـ- محاربة الاسراف

يعد الاسراف ظاهرة مرضية مرفوضة على شتى الاصعدة الفردية والمؤسسية وعلى الصعيد الاجتماعي ، واذا كانت الدول المتطورة وانظمتها السياسية والاقتصادية تدعي انها وصلت الى ما وصلت اليه بفضل ترشيد سياساتها ومنها السياسة الانفاقية والوصول الى حالة من التوازن بين الناتج القومي والانفاق القومي فان الدين الاسلامي الحنيف قد رسم السياسة الانفاقية قبل ما يناهز 1400عام حيث أشار جل شأنه في محكم كتابه الكريم الى ضرورة التوازن (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)(الفرقان 67) ، ترى هل هناك اقتصادي يستطيع ان يخرج عن هذه القاعدة التي لاشك انها تحكم السلوك الاقتصادي والاجتماعي وتحول دون وصول الانفاق حدود الاسراف وما يمكن ان يؤدي اليه من مظاهر التضخم الاقتصادي كما انها تحول دون وصول الانفاق الى حدود التقتير وبالتالي وصول الاقتصاد الى مرحلة الانكماش الاقتصادي واذا أردنا ان نقارن هذه المعالجات الاقتصادية والاجتماعية بالمعالجات الحديثة ومنها اسلوب الفجوة

([1]) الامام محمد بن ابي بكر الرازي : مختار الصحاح ، مطبعة الملاح – دمشق – الطبعة السادسة ص346.

التضخمية والانكماشية التي استخدمها الاقتصادي كينز لأمكن القول ان المعالجات التي جاء بها القرآن الكريم قد سبقت المعالجات الحديثة اضافة الى مرونتها وعموميتها فهي قاعدة تتسم بالمرونة او ما يمكن التعبير عنه بالتعامل الآني مع كل ازمة اقتصادية فهي ترسم للحاكم طريقاً واضحاً ، فعندما يجد هناك حاجة فعلية ملحة للانفاق فانه لا يتردد عن ذلك والعكس صحيح وهذه القاعدة تتسم كذلك بالعمومية إذ انها تصلح لكل مجتمع وكل زمان ، وقد رسم سبحانه وتعالى الحدود المشروعة للانفاق (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)(الاعراف 31) .

ففي الوقت الذي نهى فيه سبحانه وتعالى عن الاسراف فانه أباح التمتع بالطيبات من الرزق (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الاعراف 32) ويأتي الجواب على هذا التساؤل في نفس الآية الكريمة (قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) (الاعراف 32) . ومن شأن انتاج الطيبات من الرزق ان يزيد الانتاج وتسريع وتائر النمو الاقتصادي .

و- محاربة السرقة

يقف الدين الاسلامي موقفاً صارماً من السرقة إذ ان عقوبة السارق ان تقطع يده (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) (المائدة 38) ومع حرص الدين الاسلامي على تشديد العقوبة بقطع يد السارق والسارقة فان القطع يتحدد باقل مقدار ممكن من اليد وهو الاصابع وهي المقصودة باليد في الاية الكريمة وذلك يتضح من آيات اخرى في القرآن الكريم منها (فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) (البقرة 79)[1] ولا شك في انهم انما يكتبونه بالاصابع .

ولزيادة الايضاح في هذه المسألة نستعين بالفقرة المقتبسة الآتية :

" عن زرقان صاحب ابن ابي داود وصديقه بشده قال : رجع ابن ابي داود من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك فقال : وددت اليوم اني قد مت منذ عشرين سنة قال قلت له ولم ذاك ؟ قال لما كان من هذا الاسود أبا جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم قال قلت وكيف كان ذلك قال ان سارقاً اقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره باقامة الحد

([1]) انظر في ذلك : الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع اللبيان في تفسير القرآن/ الجزئين (3-4) منشورات ناصر خسرو – ايران – قم 1425هـ ص 297 .

عليه فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي فسألنا عن القطع في أي موضع يجب ان يقطع قال فقلت من الكرسوع لقول الله في التيمم (فامسحوا بوجهوكم وايديكم) واتفق معي على ذلك قوم وقال آخرون يجب القطع من المرفق قال : وما الدليل على ذلك ؟ قالوا لان الله لما قال : (وايديكم الى المرافق) في الغسل دل على ذلك أن حد اليد هو المرفق قال فالتفت الى محمد بن علي فقال : ما تقول في هذا يا أبا جعفر ؟ فقال قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين ، قال دعني بما تكلموا به أي شيء عندك قال اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين ، قال اقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك فيه فقال اما اذا اقسمت علي بالله اني اقول انهم أخطأوا فيه السنة فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع فتترك الكف قال وما الحجة في ذلك قال قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السجود على سبعة اعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين فاذا قطعت يده من الكرسوع او المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تبارك وتعالى (وان المساجد لله) يعني هذه الاعضاء السبعة التي يسجد عليها (فلا تدعوا مع الله احداً) وما كان لله لم يقطع قال فاعجب المعتصم ذلك فأمر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف)[1]

لذا فان المقصود باليد هنا هي الأصابع حيث تحددت العقوبة بقطعها وترك باقي اليد لكي يستفيد منها الإنسان الذي اقترف السرقة من اجل القيام بأموره العبادية وكذلك الاستعانة بها من اجل العمل المنتج الذي يعود بالفائدة عليه وعلى المجتمع .

وللسرقة اتصال وثيق بموضوع الحرابه وهي قطع الطريق للسلب والنهب والقتل وقد اوضحها سبحانه وتعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) (المائدة /33) وفي ذلك توكيد كبير على ضرورة ان تكون الطرق آمنه وسالكه لكي يستطيع الناس العمل بأمن والا تعثر العمل والنمو الاقتصادي .

([1]) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي – مصدر سبق ذكره ص 342-343.

سادساً : حس التعلم والتعليم

اختلف الفلاسفة في تعيين الادوات التي يكتسب الانسان بها معارفه وادراكاته وانقسموا الى طوائف [1]

1- طائفة يجنحون الى الحس ويرونه الرصيد الوثيق بالاتصال بالخاج والاذعان به وهؤلاء هم الحسيون .

2- وطائفة يركزون على العقل ويرونه الاداة الوحيدة لكسب المعارف وهؤلاء هم العقليون .

3- وطائفة ثالثة يرفضون الحس والعقل ويركزون على الالهام والاشراق وهؤلاء هم الاشراقيون وعلى الرغم من ان الحس يعد من اوثق مصادر المعرفة واليه تنتهي كل المعارف الضرورية ولولاه لما كانت هناك معرفة عقلية ولا اشراقية ، بيد انه يجب الحذر من المغالاة في الاتجاه الحسي وان لا ننساق مع التيارات الوجودية كتلك التي تجعل مصدر الافكار الصحيحة التي تسود المجتمع هو الممارسة او التطبيقات الاجتماعية كما يعبر عن ذلك ما وتسي تونغ في تساؤله .[2]

من أين تأتي الافكار الصحيحه ؟

هل انها تأتي من السماوات ؟ كلا

هل انها تخلق في العقل ؟ كلا

انها تأتي من الممارسة الاجتماعية

مثل هذه التوجهات الفكرية لا ترى أن ثمة مصدر او مصادر اخرى يمكنها ان تساهم في تعليم وتهذيب الانسان . والواقع انه لو نظرنا نظرة منطقية الى اساليب الانتاج الحديثة على الاقل لأمكن الاستنتاج بخطأ ما يذهب اليه مثل هذا التوجه الفكري ، اذ أن غالبية المصنوعات الحديثة ترفق بدليل لحسن الاستعمال والصيانة ، فاذا كان البشر يحرص علىأن يرفق مع صناعاته المختلفة بدليل للاستعمال والصيانة ، فهل ينسى الله سبحانه وتعالى خالق الانسان من ان يرسل كتاباً ومعلمين لاجل تعليم هذا الانسان بما ينفعه وما يضرد ؟ بل انه سبحانه وتعالى لا يقتصر تعليمه

([1]) الاستاذ الشيخ جعفر السبحاني ، نظرية المعرفة المدخل الى العلم والفلسفة والالهيات بقلم : الشيخ حسن محمد مكي العاملي/ مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام) توزيع مكتبة التوحيد – قم 1424 هـ/ ص 135.

([2]) Joan Robinson : Freedom and necesity / George Allen & Unwin LTD Ruskin House, Museum street, 1970, p. 52.

وهداه للانسان فحسب وانما يتعدى ذلك كل المخلوقات فسبحان (الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى) (الاعلى 2-3) وسبحان (الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (طه 50) وهناك من الآيات الكريمة ما تدل على التعليم العملي (واصنع الفلك باعيننا ووحينا)(هود 37) (وانه لذو علم لما علمناه) (يوسف 68) ومهما يخيل للانسان انه قد قطع شوطاً كبير في مجال التعليم والتعلم وهو كذلك الا ان مقارنة علم الانسان بعلم الله سبحانه وتعالى يبقى شيئاً لا يذكر (وما أوتيتم من العلم الا قليلاً) (الاسراء 85) .

ومع كون الله جل ثنائه قد من على الانسان بالعلم من خلال الانبياء والرسل (هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(الجمعه 3) . فانه يحث الانسان على طلب العلم من خلال أول سورة كريمة نزلت على خاتم الانبياء والرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) (إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) (العلق 2-6) ومن ذلك نستنتج ان الدين الاسلامي دعا الى التعلم لما فيه من الفوائد الكثيرة ومنها الفوائد الاقتصادية.

سابعاً : التدبر

لاشك في ان العلم ينبغي أن يقود الى التدبر والتأمل في عواقب امور الامم السالف منها والحاضر اذ ان (في قصصهم عبر لاولي الالباب) (يوسف111) وقد أمر سبحانه وتعالى بضرورة تتبع احوال الامم والنظر في نتائجها (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (النحل 36) .

وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتبصر الناس بضرورة التفكر والعمل الصالح (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه) (الانعام 104) وقد تكون التجارب قريبة من الزمن الذي يعيش فيه الناس والذين قد ينسون او يتناسبون اوضاعهم لسبب او آخر (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم) (الانفال 26) (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين)(النحل 66) .

ان التدبر في خلق الله سبحانه وتعالى ينبغي ان يقود الانسان الى العمل الصالح بما ينفع الناس هذا مع علمه بأن (ما من دابة في الارض الا على الله رزقها)(هود 7) والعمل الصالح له مصاديق كثيرة منها العمل في انتاج السلع والخدمات المشروعة ومحاولة الاكثار منها وهو خير تعبير عن النمو الاقتصادي .

ثامناً / القيام بالعمل المنتج

لم يخلق الله سبحانه وتعالى الجن والانس الا ليعبدوه (ما خلقت الجن والانسن الا ليعبدون)(الذاريات 56) والعبادة لها عناوين كثيرة منها الصوم والصلاة والزكاة وغيرها مما يرتبط في اذهان كثير من الناس ، واذا كان سبحانه طلب منا العباده التي من عناوينها ما ذكرناه آنفاً فانه جل ثنائه استعمرنا الارض (هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها) (هود 62) أي اعمار الارض وهو جل ثنائه شدد على العمل بما يفيد الناس ولم يترك عذراً لمعتذر (وهزي اليك بجذع النخلة)(مريم 25) اذ يفهم من هذه الاية الكريمة طلب العمل من اجل تحصيل الرزق ، واذا كان سبحانه وتعالى قد طلب ترك العمل لأجل التفرغ للعبادة في أوقات محددة (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (الجمعة 9) فانه دعا الى الانتشار في الارض وطلب الرزق بعد الفراغ من الصلاة (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) (الجمعة 10) ومن ذلك يتبين لنا مدى التوكيد على القيام بالعمل المنتج الذي هو عماد النمو الاقتصادي .

تاسعاً : طلب العون من الله سبحانه وتعالى

يفهم من سياق الآيات الكريمة الكثيرة ان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الانسان في احسن تقويم واستعمره في الارض وأمره بالعمل الصالح والذي من احد عناوينه قيامه بالانتاج المشروع بما يفيد نفسه وسائر الناس واستغلال ما افاض عليه من نعم الجوارح من يدين ورجلين وبصر وربما من اهم النعم هي القوة العقلية التي تميز بها عن سائر المخلوقات ، الا انه كما يقال ليس كل من رمى أصاب فقد يخطأ البصير هدفه ويصيب الاعمى ولله سبحانه في ذلك حكمه فاذا كان الامر كذلك فعلى الانسان المؤمن ان يرضى بما قسمه الله سبحانه وتعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء) (الاعراف 188) ، والواقع ان هذه الحياة الدنيا انما هي دار ابتلاء للانسان (فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن)(الفجر 16-17) . ان توسيع النعمة وتقليلها انما هي ابتلاء للانسان وعليه ان يكون راضياً بما قدر له ، فاذا ابتلى الانسان بفقر ورغب في تبديل حاله فعليه أولاً العمل وفق طاقته وبعد ذلك طلب العون من الله جل ثنائه (و أيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين) (الانبياء83) . وهو وحده القادر على ان يجيب المضطر اذا دعاه (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، النمل)(63) ومن أسباب زيادة الرزق هو الاستغفار (فقلت استغفروا ربكم انه

كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارا)(نوح 10-12)

الخلاصة :

إغترفت غرفة من هذا المنهل الروي (القرآن العظيم) لا لانه سبحانه وتعالى قد ابتلانا كما ابتلى بني إسرائيل بنهر بأن لا يشربوا منه إلا من اغترف غرفة بيده وانما لان هذا المنهل الروي (بحر لا يدرك قعره)[1] ولا تنتهي عجائبه.

لذا دلوت دلوي عساي ان أحصل على ما انتفع به في الدنيا والآخرة فبعد الغربة وبعد ان أخذتنا المناهج نحو الغرب والشرق فقد آن الأوان للعودة الى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجه الزجاجه كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء)(النور 35) .

فبعد ان تهنا في الأرض سنين طوال ليس أربعين سنة وانما اكثر من 1400 سنة ربما يكون من البديهي القول ان لا ملجأ ولا منجى من الله الا بالعودة اليه والى حبله المتين (كتابه الله والعترة الطاهرة) حاولت ان أتناول عوامل النمو الاقتصادي التي لا غنى عنها في أي مجتمع وفي أي زمان تلك العوامل التي تشتمل على العوامل الأساسية للنمو الاقتصادي فمن دون توفر العوامل المادية والاجتماعية التي يجدها المتتبع في متن البحث يصبح الحديث عن النمو الاقتصادي لا معنى له ، بل لا وجود للحياة أساساً دون توفر تلك العوامل ، اما ما ذهبت اليه النظريات ذات الاتجاه الرأسمالي بتوكيدها على (العمل ، الطبيعة، راس المال والتنظيم) بكونها العوامل الأساسية للنمو الاقتصادي فان ذلك يعد في نظر الباحث بسيطاً واختزالاً كبيراً لعوامل النمو الاقتصادي ، اما نظريات ذوي الاتجاه المركزي في قيادة الدولة والمجتمع فان التبسيط والاختزال لعوامل النمو الاقتصادي كان اكبر بكثير اذ انها ترجع النمو الاقتصادي لتطور العمل ونمو إنتاجيه قوة العمل .

ان الباحث لا يمكن له ان يقلل من شأن ما أفرزته التجارب الماضية وما يمكن ان تفرزه التجارب اللاحقة من تنظير ووسائل فنية (Technique) وتقدم الأساليب العلمية واعطائها دفعاً قوياً لحسن استخدام عوامل النمو الاقتصادي ، فعلى سبيل المثال عند توفر المياه يمكن ان تفكر

([1]) الشيخ محمد عبده : نهج البلاغه ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الجزء الثاني – بدون سنة نشر ص 177.

المجتمعات في بناء السدود والخزانات لضمان خزن المياه وحسن استخدامها ، اما اذا لم تتوفر المياه فعند ذلك ليس من المنطقي التفكير ببناء السدود والخزانات ، كما يكون التفكير بأفضل الطرق لتوفير رؤوس الأموال مقبولاً حين تكون العوامل المادية والاجتماعية متوفرة .

مما تقدم بحثه يتضح ان النمو الاقتصادي عملية شاملة وشديدة التعقيد ، تتشابك فيها جملة عوامل مادية ، واجتماعية وضمن العوامل الاجتماعية هناك مجال واسع لكي يمكن للباحث ان يدخل العديد من هذه العوامل مما له علاقة وثيقة الصلة بالنمو الاقتصادي ، اذ قد تحقق بعض المجتمعات وكما هو فعلاً قد حصل في بلدان عديدة زيادة في الناتج المحلي الاجمالي الا انه اذا ما تم تطبيق الكثير من المؤشرات الاقتصادية التي لا غنى عنها للنمو الاقتصادي لاسيما فيما يتعلق منها بحسن توزيع واستخدام الدخل القومي لا تضح لنا أن عملية النمو الاقتصادي في هذه الدول تنتابها عيوب وانها لم تبلغ بعد النموذج المطلوب تحقيقه .

المصادر

أولاً : العربية

1- القرآن الكريم

2- الاشقر ، محمد سليمان عبدالله ، زبد التفسير من فتح القدير ، الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م.

3- بيترسون ، والاس : الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي ، ترجمة : صلاح دباغ ، مراجعة : برهان دجاني- الجزء الثاني نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر – بيروت – نيويورك 1968.

4- د. الحكيم ، حسن عيسى : النظم الإسلامية ، رئاسة جامعة الكوفة – كلية الفقه ، محاضرات لطلبة المرحلة الثالثة طبعت في مكتب الرواد للطباعة – بغداد 1990 .

5- الخوئي ، السيد ابو القاسم الموسوي : مباني تكملة المنهاج الجزء الثاني – مطبعة الديواني – بغداد 1992.

6- دويتشر ، اسحق : ستالين سيرة سياسية ، ترجمة : فواز طرابلسي ، دار الطليعة للطباعة والنشر – الطبعة الاولى ، بيروت 1969.

7- الرازي ، الامام محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح ، مطبعة الملاح – دمشق – الطبعة السادسة.

8- السبحاني ، الاستاذ الشيخ جعفر ، نظرية المعرفة/ المدخل الى العلم والفلسفة والالهيات ، بقلم : الشيخ : حسن مكي العاملي ، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام) توزيع مكتبة التوحيد – قم 1424هـ.

9- د. السلمان ـ، عطيه مهدي : التشخيص الاقتصادي كاسلوب لتحديد استراتيجية التنمية في الوطن العربي ، مجلة الإدارة والاقتصاد- الجامعة المستنصرية ، العددان الخامس والسادس – السنة الخامسة 1981.

10- د. سيد علي ، عبدالمنعم : مدخل في علم الاقتصاد – الجزء الثاني ، مطبعة جامعة الموصل – 1984.

11- د. الشافعي ، محمد زكي : التنمية الاقتصادية – الكتاب الاول ، دار النهضة العربية – القاهرة 1975 .

12- الصدر ، محمد باقر : اقتصادنا ، مكتب الاعلام الاسلامي – طهران ، الطبعة الاولى 1417هـ .

13- الطباطبائي العلامة السيد محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، الجزء الاول، منشورات مؤسسة الامام المنتظر (عليه السلام) . ايران –قم / الطبعة الاولى المحققه 1425هـ- 2004م .

14- الطبرسي ، الشيخ ابي علي الفضل ابن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الجزئين (3- 4) منشورات ناصر خسر – ايران – قم 1425هـ.

15- عبده ، الشيخ محمد : نهج البلاغة ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الجزء الثاني ، بدون سنة النشر .

16- العنتري ، سلوى : ازمة ديون العالم الثالث بين التهدئة والمواجهة . مجلة المنار – العدد (26-27) شباط آذار 1987 .

17- لانجه ، اوسكار : التخطيط والتنمية الاقتصادية ، ترجمة : هشام متولي – دمشق – غير مؤرخ .

18- د. الهيتي ، احمد حسين علي : اقتصاديات النفط ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل – سنة 2000.

ثانياً : الأجنبية

19-Kalecki, Michal : introduction to the theory of growth in socialist economy pww- polish scientfic puplisher, first English edition 1969.

20- Ranger, Nurkse : problems of capital formation in undredveloped countries,oxford university press, New York 1961.

21-Robinson, Joan : Freedom and necesity,George Allen& Unwin LTD Ruskin House, Museum street , 1970 .

.....

.....

.....